جمعية مجموعة التفكير الاستراتيجي
Strategic Thinking Group Association

6

التقرير الاستراتيجي السنوي
الحالة الجيواستراتيجية للمنطقة العربية

الجزء الأول

التقرير الاستراتيجي للمنطقة العربية 2020

جمعية مجموعة التفكير الاستراتيجي
Strategic Thinking Group Association
http://www.stgcenter.org/
STG.CENTER
CenterSTG

المشهد الأردني في العام 2020

أ. فايز موسى

مجموعة التفكير الإستراتيجي - إسطنبول

المشهد الأردني في العام 2020

مشهد سياسي أردني ملتبس في غمرة فايروس كورونا وفوز بايدن

مقدمة

برزت في العام 2020، عدة متغيّرات، كان أهمها على الإطلاق، متغيران عالميان: فيروس كورونا، وفوز بايدن بالانتخابات الأمريكية. وفيما شهدت الأردن، وما زالت، تداعيات الأول، الكارثية بكلّ ما في الكلمة من معنى، في العام 2020، صحياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، ...، يُتوقّع أنْ تتنفس الصعداء بالمتغير الثاني، في العام 2021. متغيران عالميان تولد عنهما، استحقاقاً وإرهاصاً، مُتغيّران سياسيان داخليان: التغيير الحكومي، والانتخابات النيابية. وهما متغيران تابعان، وليسا متغيرين مؤسّسَيْن. كما نشأ في رحم ذانك المتغيرين العالميين متغيّر ثالث، لكنه إقليميّ، ويتمثل بهرولة عدد من الدول العربية (الإمارات، والبحرين، والسودان، والمغرب) للتطبيع مع إسرائيل.

فيما يلوح في الأفق القريب متغيران إقليميان، كلاهما انتخابي، في كل من «إسرائيل» وإيران. يُنتظر أن يلعبا دوراً مؤثراً في الإقليم، مما له انعكاساته على الأردن.

وسيسعى هذا التحليل لإلقاء الضوء على هذه المتغيّرات، وتحليل مآلاتها، الحاليّة (التداعيات) والمستقبليّة (التوقّعات).

فايروس كورونا

تكشف منحنيات كورونا الإحصائية التالية، عمق الأزمة التي رزحت الأردن إبانها في العام 2020م؛ وصولاً لتحولها لجائحة مجتمعية عامة، لا تميز فقيراً من غفير، ولا سائلاً من مسؤول، فالجائحة عمّت وطمّت، وإن فترت شراسة قتلها عمّا كانت عليه في بداياتها (من 5 آذار إلى 25 أيلول)، بالتزامن مع اتساع نطاقها (من 9 آب إلى نهاية 2020)؛ ويعزى ذلك لدى بعض المحللين إلى طفرة طرأت على الفايروس، بحيث تقلَّمت أظافره القاتلة، وتعاظمت نطاقات انتشاره واتّسعت بما يتعذَّر رقعُه بأيّ سياسات رادعة مهما بلغت صرامتها:

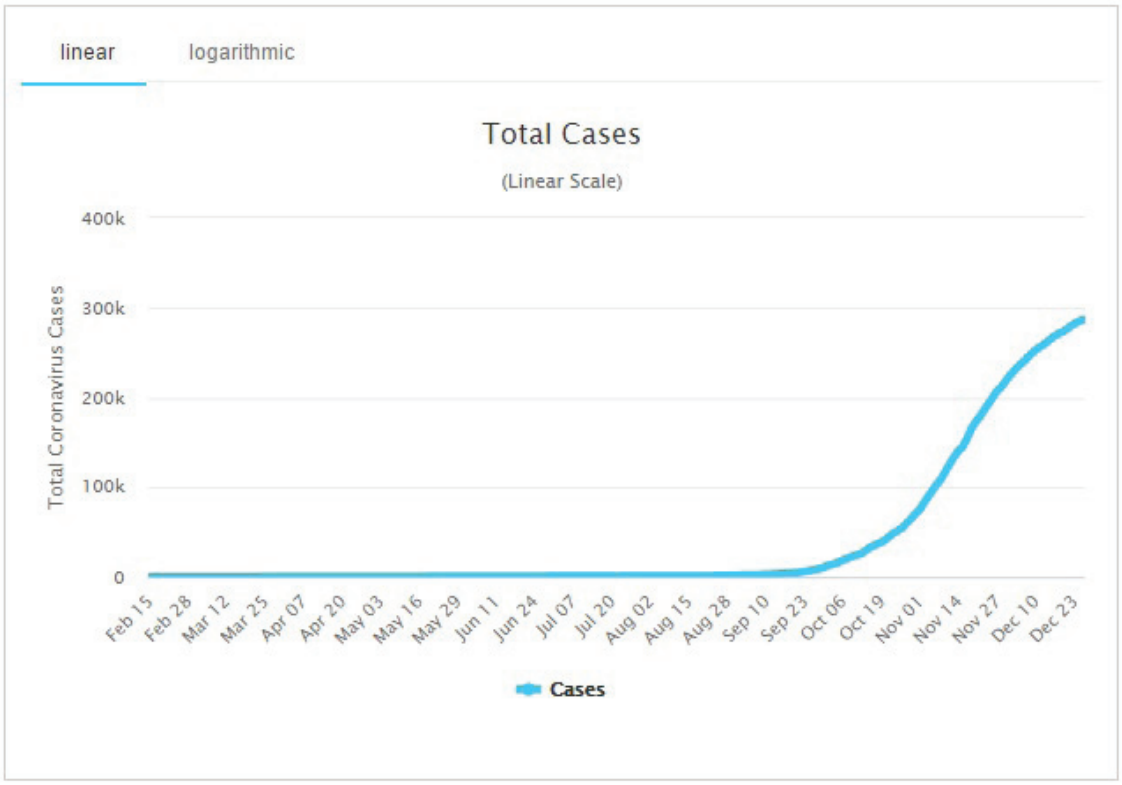

منحنى عدد الإصابات بالفايروس في الأردن منذ بدء الجائحة (286356 مُصاب)

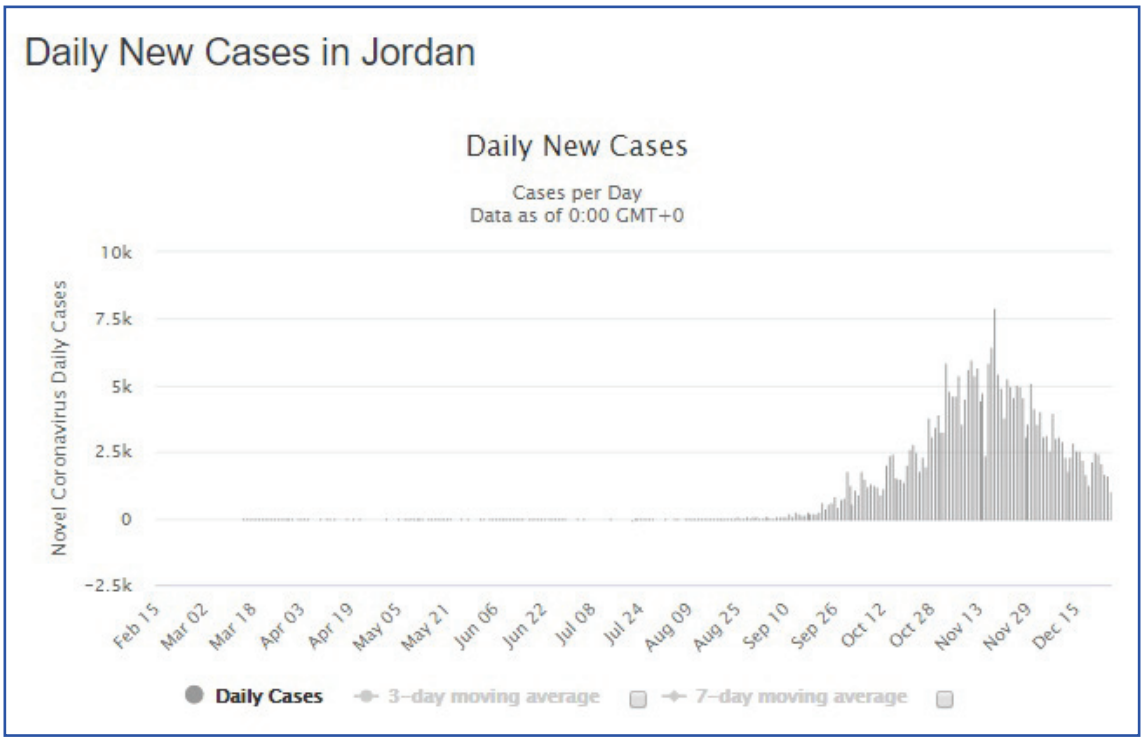

منحنى عدد الإصابات يومياً بالفايروس في الأردن منذ بدء الجائحة

(الذروة: 7933 مُصاب في 18 تشرين ثاني)

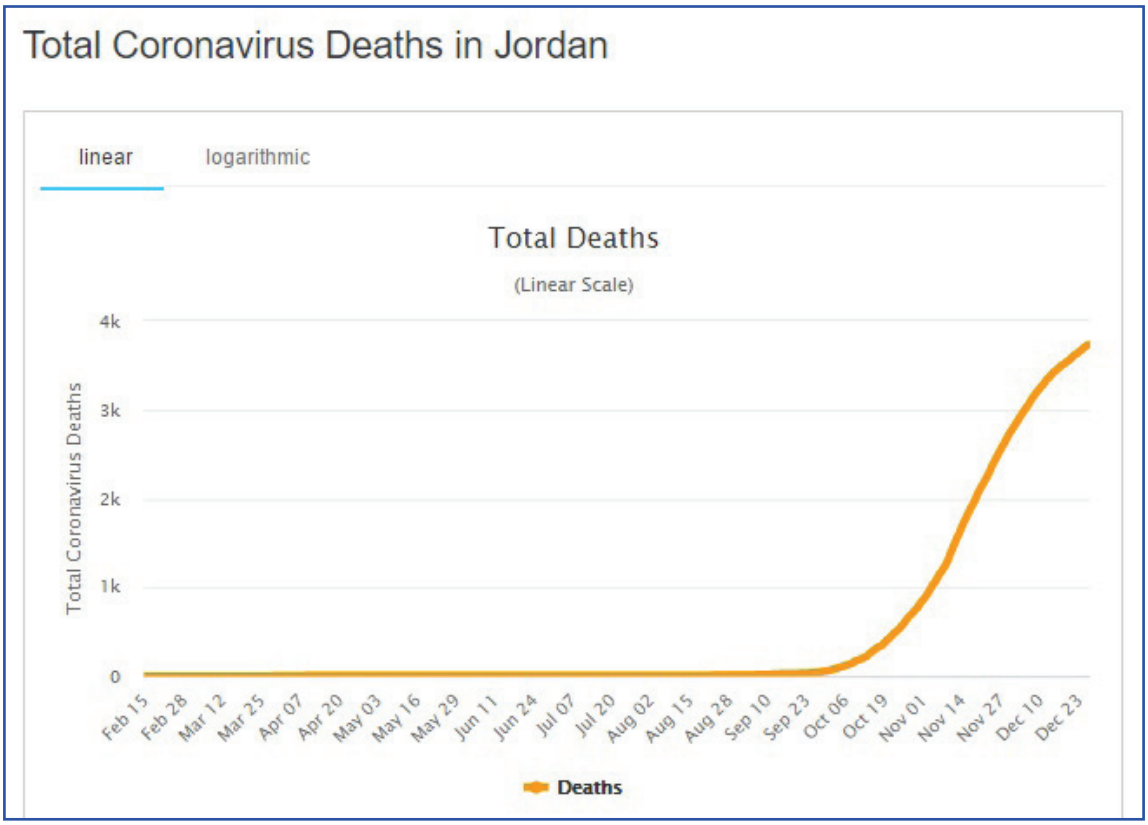

منحنى عدد الوفيات بالفايروس في الأردن منذ بدء الجائحة (3729 مُتوفّى)

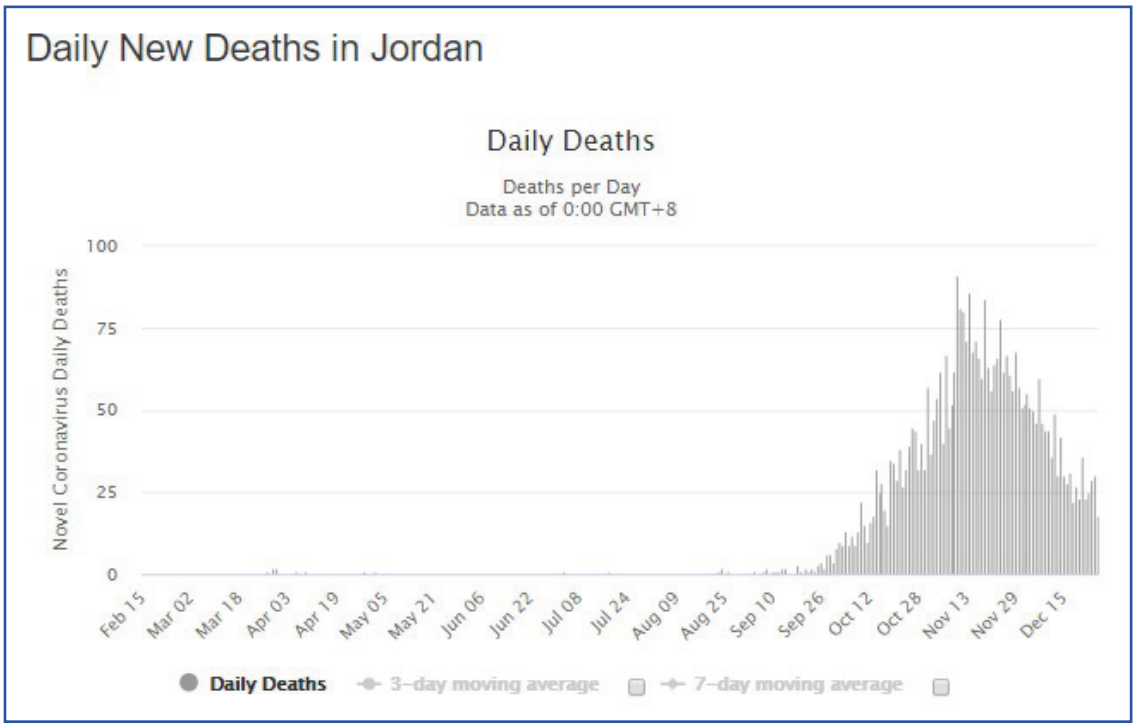

منحنى عدد الوفيات يومياً بالفايروس في الأردن منذ بدء الجائحة

(الذروة: 91 مُتوفّى في 10 تشرين ثاني)

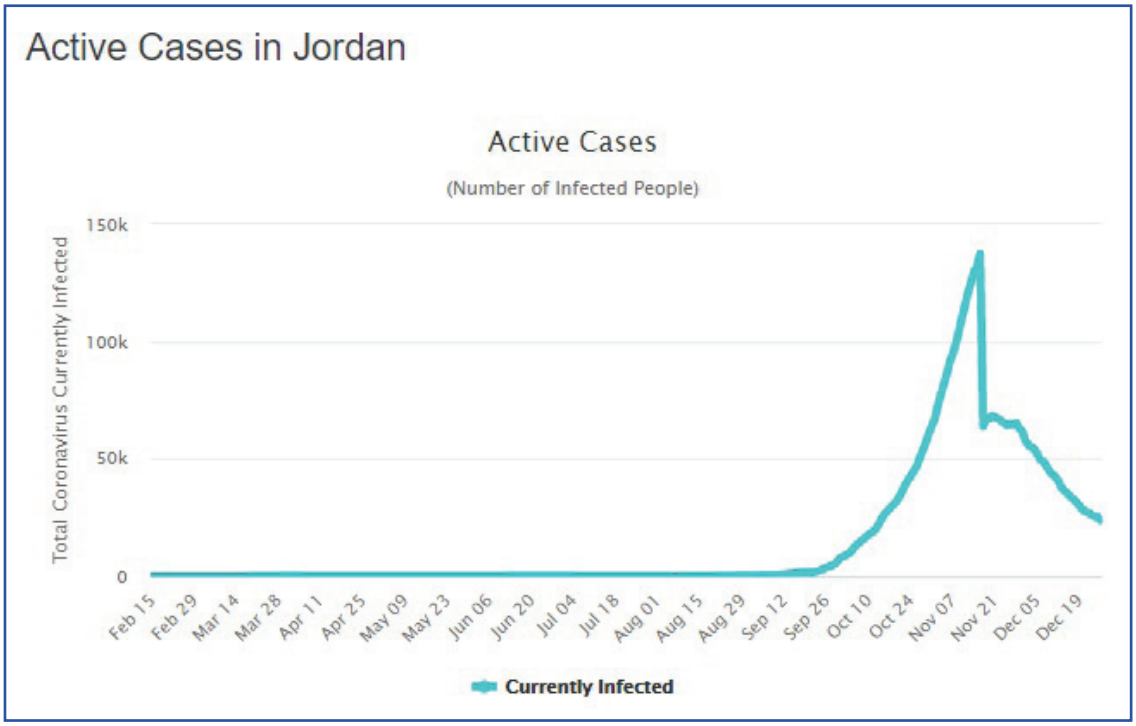

منحنى عدد المُصابين يومياً بالفايروس في الأردن منذ بدء الجائحة

(الذروة: 137385 مُصاب في 16 تشرين ثاني[1])

1 -Jordan Coronavirus 286,356 :Cases and 3,729 Deaths - Worldometer

فبعد أن أشادت جهات دولية عدة، بالوضع الصحي في الأردن وقدرة السلطات على الحدّ من انتشاره، طوال الفترة التي اصطلح على تسميتها بالموجة الأولى من جائحة كورونا، استفاق الأردنيون فجأة على انتشار الفايروس «المجتمعي» مطلع شهر آب؛ مما أطلق العنان لسيلٍ من التفسيرات، اتكأ بعضها على ارتخاء قبضة الأردن الأمنية في واحد من معابرها الدولية؛ ما سمح بفتقٍ تعذّر رتقه لاحقاً، أفضى بمآلات كارثية من حيث عدد المصابين به، بالغاً قبيل نهاية العام 286 ألف مصاب. وارتكس ترتيبُها ليصبح الثالث عربياً، بعد العراق والسعودية، والتاسع والثلاثين عالمياً.

وقد لجأت الأردن لعدد من الإجراءات بُغية الحد، ما أمكن من انتشاره، لكنها لم تحظَ، لدى شرائح واسعة، بأي تفهم أو قبول. لاسيما والناس ترى بأمّ عينيها بأنها غير ذات جدوى. ومنها:

- حظر التجوال بعد التاسعة ليلاً للمؤسسات، وبعد العاشرة لعموم الناس، وحتى السادسة صباحاً.
- حظر التجوال أيام الجمعة، باستثناء فترة صلاة الجمعة، وسيراً على الأقدام.
- حظر التجول دون كمّامات، ومعاقبة المحالّ التجارية إذا سمحت بدخول أيٍّ من المشترين دون ارتدائها.
- حظر التجمع لأكثر من عشرين شخصاً. وعليه، حظر إقامة الأعراس في صالات الأفراح، وحظر العزاء في الدواوين العائلية.
- حظر تناول الطعام داخل المطاعم، ...

وقد روعيت هذه الإجراءات، في غالبها، في العاصمة عمان، وبدرجات متفاوتة في المدن الأخرى، وبدرجات متدنية في القرى. ويُعزى استهتار عدد من الشرائح الاجتماعية، بأهمية تلك الإجراءات وجدواها، إلى انخفاض نسبة الوفيات بالمرض، من جهة، وللشكوك التي تحوم حول الأعداد الرسمية للمتوفّين بفايروس الكورونا، في ظلّ سريان إشاعات تصبُّ في خانة احتساب أي متوفّى، مهما كان السبب المباشر لوفاته، ضمن ضحايا كورونا، أو على الأقل، مَنْ يُشتبه أن يكون قد توفي بالفايروس، قبل صدور التقرير الذي يؤكد إصابته به. ناهيك عن التشكيك في دقة الاختبارات الحكومية والخاصة، على حدٍّ سواء، للاعتقاد بأنه تتوفر لديهما مصلحة في ذلك، من باب تلقي المساعدات، حكومياً، والتربُح لدى القطاع الصحي الخاصّ، في ظل الأسعار الفلكية للعلاج الصحّي، لاسيّما مرضى العناية المركزة. فضلاً عن التشكيك الصادر لدى بعض العاملين في القطاع الصحي، المنكرين لوجود الفايروس، أو شراسته وخطورته على الحياة.

لقد أسهم الإنكار المجتمعي، الذي تفاوتت منحنيات انتشاره خلال موجتيّ جائحة كورونا، بقسطٍ وافرٍ في انتشاره. وبخاصّة، في بواكير الموجة الثانية، في شهر آب. ويعكس الإنكار تدنّياً في الوعي الجماهيري، فضلاً عن انهيار جدار الثقة بين المواطنين والسلطة، التي تسلّحتْ بأوامر الدفاع، في ظلّ فرض لحالة من الطوارئ، لاسيما خلال الموجة الأولى. ولـمّا عجزت الحكومة عن المحافظة على أدنى مستويات العيش الآمن من الجوع، تراخت قبضتها الأمنية، فتراجعت عن استراتيجية الاحتواء للمرض، بحجة تعذّر احتوائه وفق استراتيجية الإغلاق التامّ، أو الانعزال المجتمعي، التي جرّبتها في الموجة الأولى على مراحل. باعتبار أنها تتعارض مع الأمن الاقتصادي المجتمعي، إذْ تُكرّس شللاً في أوصال الاقتصاد

المحلي، تعجز الحكومة عن الوفاء بتبعاته وتحمُّل أعبائه.

وتكشف الجداول التالية، بمؤشراتها العديدة، عُمق الأزمة الاقتصاديّة وتجذّرها[1]:

الأردن التجارة	أخرى	السابق	الأعلى	أدنى	وحده
الميزان التجاري	-616309.00	-536064.00	-3400.00	-1034553.00	آلاف دينار
حساب جار	-978.30	-309.20	473.00	-1298.60	دينار - مليون
الحساب الجاري إلى الناتج المحلي الإجمالي	-2.80	-7.00	11.50	-18.04	في المئة
واردات	1139320.00	1072103.00	1533087.00	5090.00	آلاف دينار
صادرات	523011.00	536040.00	612831.00	110.00	آلاف دينار
الديون الخارجية	12338.20	12087.50	12338.20	3640.20	دينار - مليون
أحكام التبادل التجاري	65.10	59.50	167.20	56.30	نقاط
تدفقات رأس المال	1534.10	136.90	1534.10	-1047.80	دينار - مليون
التحويلات	455.60	466.70	643.50	252.60	دينار - مليون
وصول السياح	81.80	45.50	1680.70	0.00	ألف
احتياطيات الذهب	43.50	43.50	43.54	12.37	طن
الاستثمار الأجنبي المباشر	91.70	210.50	1713.30	91.70	دينار - مليون
مؤشر الإرهاب	3.09	3.40	4.63	0.55	
مبيعات الأسلحة	86.00	1.00	117.00	1.00	USD - مليون

نظرة عامة	أخرى	مرجع	السابق	نطاق (أدنى - أعلى)	التردد
معدل النمو السنوي للناتج المحلي الاجمالي	-3.6	2020-06	1.3	10.6 : -3.6	فصلي
معدل البطالة	23.9	2020-09	23	23.9 : 10.8	فصلي
معدل التضخم	0.1	2020-11	0	32.91 : -8.28	شهريا
سعر الفائدة	2.5	2020-08	2.5	9 : 2.5	يوميا

1- مصدر الجداول والرسوم التوضيحية: البنك الدولي، الاقتصاديات التجارية (Trading Economics).

الأردن - المؤشرات الاقتصادية العامة

الأردن حكومة	أخرى	السابق	الأعلى	أدنى	وحدة
الدين الحكومي إلى الناتج المحلي الإجمالي	92.40	89.70	219.73	54.80	في المئة
الميزانيات الحكومية	-3.40	-2.40	10.11	-8.90	في المئة من الناتج المحلي الإجمالي
إيرادات الحكومة	1024.10	681.40	1329.10	98.10	دينار - مليون
الإنفاق المالي	816.20	798.20	1082.00	105.30	دينار - مليون
الإنفاق العسكري	1874.00	1940.00	1962.00	601.00	USD - مليون
قيمة الميزانية الحكومية	-116.80	-31.40	588.60	-636.90	دينار - مليون
الديون الحكومية	18949.00	19074.00	19276.00	1872.00	دينار - مليون
التصنيف الائتماني	36.00				

الإنفاق المالي

وللاستزادة والتفصيل، يُنظر للملحق الخاص بالرسوم التوضيحية للمؤشرات الاقتصادية في الأردن، في العام 2020، الصادرة عن البنك الدولي.

وتكشف الجداول والرسوم التوضيحية عمق الأزمة الاجتماعية من جهة، لاسيّما الرسمان التوضيحيان الخامس والسادس المتعلقان بتعاظم قروض القطاع الخاص وبانخفاض أسعار الفوائد على الودائع البنكية؛ وهو انخفاض يعكس حالة الشلل الاستثماري، فيما يُفضي تعاظم القروض إلى مديونية ستثقل كاهل المقترضين من منظور استراتيجي، ما يتأدّى عنه تقلص مضطرد في منتسبي شريحة متوسطي الدخل، لينضووا إلى أقرانهم ممّن تنخفض دخولهم عن خط الفقر. وفيما شهدت معلات التضخم ارتفاعاً حادّاً في الموجة الأولى، لم تسجل سوى ارتفاعات محدودة إبان الموجة الثانية؛ وهو مؤشر لا يعكس نجاعة الإجراءات الحكومية، كما لا يعكس وعياً شعبياً على مآلات ذلك التضخم لدى شرائح المجتمع جمعاء؛ بل يعكس تآكل القدرة الشرائية لدى شرائح المجتمع كافة، سوى ما لا مندوحة عن شرائه؛ أعني: الأغذية؛ التي شهدت تضخماً في كلتا الموجتين، وفق الرسم التوضيحي الرابع.

فيما تتعارض الإجراءات المتبعة، لمواجهة خطر فيروس كورونا في عدد من الدول الأوروبية، لاسيما ألمانيا وإنجلترا، مع الإجراءات الرسمية الحكومية، المتعلقة بتعذّر العودة لاستراتيجية احتواء الفايروس عبر سياسات الإغلاق وحظر التجول والحجر الوبائي. ويُذكي هذا التوجه الحكومي المنحنيان الخاصّان بالهبوط التدريجي في الأعداد اليومية للمُصابين والمتوفّين، التي بلغ انحسارها خُمُسَ ما كانت عليه رَسْمِيّاً.

وقد أثر مُتغيّر كورونا في الحقل التعليمي، بشكل بالغ، وتخبَّطت السياسات الحكومية في إدارة المشهد التعليمي، بتردّدها بين التعليم الوجاهي والتعليم الإلكتروني؛ ما أسهم بنسبة ملحوظة في انتشار الوباء. ولولا شيوع التكنولوجيا لدى العديد من الأسر الأردنية، لتحوّل الوضع التعليمي إلى كارثة حقيقية. وقد اضطرت الأسر لتحمل أعباء إضافية في ظل الشلل الاقتصادي الذي صاحب الجائحة، من غير إجراء أيّ تخفيض على التعرفة الخاصة بقطاع الاتصالات؛ ما أثار لَغَطاً وسيلاً من التساؤلات حول المفهوم التكاملي للسياسات الأردنية في ظل أزمة عاصفة خانقة، لاسيّما وأنّ التكاليف الشهرية التي تتحمّل الأسرة الأردنية أعباءها، بقيت على حالها، مِنْ نحو تعرفة استهلاك الكهرباء والماء وغيرهما.

قرار إسرائيل ضمّ أراضي الغور لكيانه الصهيوني

تنفس الأردن الصعداء، بعد أن تباطأت إسرائيل في إجراءاتها الخاصة بضم أراضٍ في الضفة الغربية إلى كيانها؛ ما سمح لأصوات في الإعلام أن تتحدث عن انتصار للدبلوماسية الأردنية، ممّا دفع وزير الخارجية الأسبق مروان المعشر إلى القول:

«ليس تغيير نسبة الضم هو المهم، أو تأجيله، المهم أن يذكرنا أن إسرائيل مُصرة على دفن حلّ الدولتين».

وهو تحذير لا يكتسب أهميته من كونه شخصية معارضة؛ وإنما لأنه كان أول سفير للأردن في تل أبيب، وسفيراً للملكة في واشنطن[1]. فضمّ الأراضي الفلسطينية يُذكي المخاوف من تهجير الفلسطينيين إلى عمّان. فخطة التهجير والترحيل تتواجد ضمن الأجندة الإسرائيلية التي تنحو إلى التطرف، لاسيما وأنّ تهجير الفلسطينيين وترحيلهم لم يعد صعبا اليوم، فقد هُجّر 6 مليون سوري، منهم مليون ونصف المليون في الأردن، حسب المعشر.

وفي معرض رده على كلمة رئيس الوزراء الأسبق فايز الطراونة، في حديثه على قناة رؤيا الذي سخر فيه الطراونة ممّا يشاع من خطر على الأردن جرّاء قرار الضم الإسرائيلي، قائلاً: «صغرها بتصغر، كبرها بتكبر»، نشر عريب الرنتاوي على صفحته في فيسبوك، ما عنوانه: «كبيرة يا دولة الرئيس»، مُذكّراً إيّاه أنّ الضمّ يعني انهيار حّل الدولتين، وانعدام فرص قيام دولة فلسطينية، وترك الوصاية الهاشمية لأنياب الاستيطان الإسرائيلي. وخاطب الطروانة قائلاً: «هي كبيرة يا دولة الرئيس ولا حاجة لأحد لتكبيرها، فهي طعنة نجلاء لكل ثوابت الأردن ومصالحه في الحل النهائي».

1- الأردن في مواجهة «عاصفة سياسية»، الحرة، نضال منصور، 9 تموز 2020.

المتغيرات الداخليّة السياسية

أ - تغيّر اللاعبين في المشهد التشريعي والحكومي

أصدر العاهل الأردني عبدالله الثاني، مرسوماً ملكياً بقبول استقالة حكومة عمر الرزاز بعد حوالي 28 شهراً من تشكيلها، وكلَّفَه وحكومَتَه بالاستمرار بتصريف الأعمال لحين اختيار رئيسٍ وزراءٍ جديد، وتشكيل حكومة جديدة[1]. وقُدمت الاستقالة بعد أسبوع واحد من حلّ مجلسيّ النواب والأعيان. وكُلّف بشر الخصاونة، بعدها بأسبوع، بتشكيل حكومة جديدة. فيما أجريت الانتخابات النيابية في تشرين الثاني، والتي طُعِن في شفافيّتها، لما شابها من عمليات شراء الأصوات بصورة غير مسبوقة على الإطلاق. فضلاً عن إشكالية نظامها المتّبع للمرة الثانية، الذي اصطُلِحَ على تسميته شعبيّاً بنظام «قوائم الإخوة الأعداء»[2]؛ كونه يشهد تنافساً داخل القائمة الواحدة، ممّا يفتّت الأصوات، التي تحتاجها القائمة كي تجتاز عتبة الفوز، الحائرة بين القوائم المتنافسة فيما بينها..!!

وفيما يخص حصاد حكومة عمر الرزاز، حسب مركز الحياة – راصد، فإن 52 وزيراً دخلوا وغادروا في 4 تعديلات وزارية طوال فترة حكومة عمر الرزاز، خلال عامين وثلاثة أشهر. فيما تعهدت الحكومة بتنفيذ 435 التزاماً، على مدار عامين و3 أشهر، اكتمل منها 21 % فقط، فيما لا يزال 59 % من الالتزامات جارياً العمل على تنفيذها، ولكنها لما تنتهِ بعد، ولم تبدأ بتنفيذ ما نسبته 20 % من الالتزامات التي وضعتها على نفسها.

فيما تراجع تصنيف الأردن في عدد من المؤشرات العالمية، منها: مؤشر مدركات الفساد، ومؤشر النزاهة الحكومية، ومؤشر حرية الأعمال التجارية، ومؤشر حرية العمل. وارتفعت معدلات البطالة إلى 23 % خلال الربع الثاني من عام 2020، والمديونية التي وصلت إلى 32 مليار دينار (نحو 44 مليار دولار)، مقارنة بـ 27.9 مليار دينار (39 مليار دولار) منتصف عام 2018، أي بزيادة مقدارها 4 مليارات دينار (5.5 مليارات دولار) خلال عامين[3].

ب - قرار حل جماعة الإخوان المسلمين في الأردن

أصدرت محكمة التمييز الأردنية، قراراً في القضية التمييزية رقم 2020/2013، يقضي باعتبار جماعة الإخوان المسلمين «مُنحلة حكماً وفاقدة لشخصيتها القانونية والاعتبارية». لكنّ الجماعة ما زالت تنتظر قراراً من محكمة الاستئناف.

ولربما يعد القرار كارثياً، بما في الكلمة من معنى، من منظور حقوقي، وديقراطي، لما تحظى به الجماعة من ثقل سياسي واجتماعي، ولما تمارسه من معارضة مسقوفة بحدود اللعبة الديمقراطية، لكنه

1- العاهل الأردني يقبل استقالة حكومة عمر الرزاز ويكلفها بتصريف الأعمال، العربي الجديد، 3 تشرين أول 2020.
2- أتى هذا النظام على أنقاض «قانون الصوت الواحد»، الذي بات الأردنيّون يترحّمون عليه، على الرغم مِنْ عُواره.
3- حصاد حكومة الرزاز: زيادة مديونية الأردن وارتفاع البطالة وتراجع مؤشرات الأداء، العربي الجديد، 28 أيلول 2020.

لا يحرم الجماعة من ممارسة أدوارها تحت لافتة أخرى. فحتى لو كان قرار محكمة التمييز قطعياً، فإن حزب جبهة العمل الإسلامي، الذراع السياسي للجماعة، حزبٌ مرخص قانوناً، وله تمثيل في مجلس النواب.

ويرى المحلل السياسي الأردني محمد أبو رمان، المتخصص في شؤون الجماعات الإسلامية، أن هذا القرار يثبت الوضع الحالي للجماعة الذي بدأ منذ عام 2015، وهو اعتبار جماعة الإخوان المسلمين، التي تأسست عام 1945، جماعة فاقدة للشخصية القانونية مع مصادرة أموالها وأملاكها. وأوضح أنّ «الأردن لم يعتبر الجماعة جماعة إرهابية، وهذا موقف الملك عبد الله الثاني، لكنّ العلاقة حالياً، بين الحكومة والحركة الإسلامية، ليست على ما يرام؛ فهناك خلافات كبيرة حول الأوضاع في ليبيا وسوريا، والسياسة الداخلية».

من جهته، يرى محامي جماعة الإخوان المسلمين في الأردن بسام فريحات، أن «القضايا المنظورة أمام المحاكم المختصة في المملكة بالنزاع القائم مع الجمعية المرخصة لم تأخذ الدرجة القطعية»، مُشيراً إلى أنّ «محكمة التمييز أعادت القضية إلى محكمة الاستئناف والتي لها الصلاحيّة والحق بأنْ لا تلتزم بقرار محكمة التمييز»[1].

1- قرار حل «الإخوان المسلمين» في الأردن: أبعاد سياسية بمعركة قانونية لم تنته فصولها، العربي الجديد، أنور الزيادات، 16 تموز 2020.

التوقّعات

أشار عريب الرنتاوي، في ندوة سياسية عقدها منتدى السبيل الإعلامي[1]، لمشاعر الارتياح التي بدت واضحة على صنّاع القرار في الأردن لفوز بايدن بالانتخابات وترجمت إلى حراك سياسي نشط أعقب الإعلان غير الرسمي عن فوز بايدن، ولدور أردنيّ ما في بلورة القرارات الفلسطينية الأخيرة باستئناف التنسيق مع الجانب الإسرائيلي، تجهيزاً للجانب الفلسطيني لاستقبال الإدارة الجديدة. ذلك أن فوز بايدن أحيا الرهان الأردني الوحيد على حلّ الدولتين، الذي بات مسألة حياة أو موت. وفق ما يجري التعامل معه أردنيا وفلسطينيا على حد سواء. فالتصريحات التي صدرت عن بايدن وفريقه ومواقف الحزب الديمقراطي تصبُّ باتجاه الموقف الأردني من حل الدولتين، وتثير الارتياح لدى الأردن الذي ربما يستعيد الدور التقليدي الذي طالما لعبه إلى جانب مصر، باعتبارهما الإطار الإقليمي للتحرك السياسي المرتبط بالقضية الفلسطينية. مع بايدن يمكن أن يستعاد هذا الدور، في حين كان يصعب ذلك في ظل ترمب. في تلك الأثناء، انحصر الدور الإقليمي في الإمارات والسعودية، ورأينا تهميشاً كبيراً للأردن. وبالنسبة للملف الثنائي الضيّق المباشر بين الأردن والولايات المتحدة فيما يخصّ العلاقات الثنائية والاقتصاد والتجارة والتعاون العسكري والتعاون في محاربة الإرهاب، لا يوجد فرق بين الإدارتين، فأكبر صفقة مساعدات للأردن، من الولايات المتحدة، تم توقيعها في عهد ترمب. مشكلة الأردن الأساسية مع ترمب كانت صفقة القرن والتجاهل المروّع للحسابات والحساسيات والمصالح العليا للدولة الأردنية. فلم يكن هناك تشاور ولم يتم إطلاع الأردن على ما يجري في عهد ترمب.

ويتوقع الرنتاوي، عقب فوز بايدن، مقاربة أمريكية مختلفة، وهناك رهان أردني على ذلك، لكنه يعتقد أن ما قد يحصل في الحقيقة ربما يكون تأجيلاً للتحدي الوجودي الذي واجهته المملكة مع ترمب وصفقة القرن، لا إلتغاءه. فأولويات السياسة الخارجية الأمريكية الملحّة لا تشمل الشرق الأوسط، بل تنحصر في إدارة العلاقة مع الاتحاد الأوروبي والناتو والصين وروسيا والباسيفيكي وآسيا.

أما الأمر الآخر الذي ينبغي أن يقلق صانع القرار الأردني فهو التطورات الداخلية في بعض الدول المفتاحية في المنطقة، وكيف يمكن أن تعيد تشكيل سياسة بايدن، فإسرائيل مقبلة ربما في شهر آذار القادم على انتخابات رابعة مبكرة، وكل التقديرات واستطلاعات الرأي تشير إلى أن إسرائيل ستنزاح أكثر نحو اليمين، وتبشّر بانقراض حزب العمل وخروجه من الكنيست نهائياً وعدم قدرته على الوصول إلى عتبة الحسم، وميريتس قد يحصل على 4–5 مقاعد، نصفها بأصوات عربية، وحزب أزرق أبيض قد يحصل على 6–7 مقاعد، في حين يتوقع أن يحصل حزب يميناه الذي يقف على يمين الليكود بزعامة نفتالي بنيت على 23–24 مقعداً. فلقد تولّدت الآن أصبح ديناميكيات جديدة، فهناك استقالة «جدعون ساعر» وخروج عدد من نواب الكنيست معه وإصراره على دخول الانتخابات القادمة في حزب الأمل الجديد، ويتوقع أنْ يحصل على كتلة برلمانية مؤثرة، لكن ساعر سيأخذ مقاعده من اليمين. فالمنافسة القادمة في إسرائيل هي بين اليمين واليمين المتطرف، فكيف سيؤثر ذلك على السياسات الإسرائيلية

1- ندوة عقدت في عمان، بحضور: مروان المعشر، عريب الرنتاوي، محمد أبو رمان، داود كتاب.

من مشروع ضمّ زاحف قد لا يكون رسمياً وقد لا يكون مقبولاً من الولايات المتحدة، لكنه سيفرض حقائق جديدة على الأرض، ونحن نتابع المعدلات الجنونية التي يتم فيها الاستيطان في الجولان وفي الضفة الغربية وفي محيط القدس، وتقطيع أوصال الضفة الغربية، وإجهاضٍ عمليّ لمشروع حلّ الدولتين على الأرض.

مواجهة هذه السياسات بحاجة إلى قوة هائلة من الولايات المتحدة لمنع هذا المسار ووقفه وتعطيله. وبالتالي، سيواجه الأردن معركة قاسية.

فهل تملك الأردن أوراق تأثير على الجانب الإسرائيلي؟ الجواب لا، فنحن الآن بحاجة للإمارات كي تتوسّط لنا لدى إسرائيل.

هل الرهان على التفاهم مع أشكنازي وغانتس؟ هذا أيضاً، حسب الرنتاوي، رهانٌ غيرُ مُجد.

هل السلطة الفلسطينية، بأدائها الداخلي في أمر الانقسام واستعادة الشرعية وشرعنة المؤسسات وترشيق الجهاز السياسي ومحاربة الفساد وتطوير الأداء والكفاءة، يمكن أن تكون شريكاً فاعلاً يجلب اهتمام الإدارة الأمريكية والمجتمع الدولي لحل سياسي؟ الجواب لا.

ويتوقع أن تواجه سياسات بايدن في المنطقة تحديات، فلديها في حزيران القادم انتخابات إيرانية، وكل المؤشرات ترجح سيطرة المحافظين على السلطة التنفيذية إلى جانب سيطرتهم الحالية على السلطة التشريعية والقضائية، فقائمة المرشحين الذي يتنافسون على الرئاسة تراوح بين أحمدي نجاد وحسين دهقان، وربما يظهر مرشحون آخرون. فكيف سينعكس ذلك على الإقليم وعلى القضية الفلسطينية وعلى مواقف حماس وعلى مواقف الأطراف المؤيدة وعلى دور إيران الإقليمي وعلى حالة الانفراج التي يجري التبشير بها في المنطقة؟

وماذا عن الأدوار المزاحمة للدور الأردني؟ يتساءل الرنتاوي، متحدثاً عن الدفرسوار الإماراتي، ومعتقداً بوجود دور إماراتي غير مكمّل للدور الأردني، بل منافس له في مواضيع عدة، من بينها القدس والوصاية على المقدسات. فهذه الهرولة الإماراتية، غير المنضبطة، في التطبيع مع إسرائيل ليست عبثاً. بل هي توجّه استراتيجي يُستقوى به على مجلس التعاون الخليجي، بما في ذلك السعودية، ويُهيئ الإمارات لدور الشريك المنافس، ولا يستبعد أن تصبح أبو ظبي غداً، لا القاهرة أو عمان، هي حاضنة اللقاءات والقمم القادمة، لتغدو أبو ظبي المعبر الدبلوماسي الوحيد إلى القدس. فكيف سيتعامل الأردن مع هذا الدور الإماراتي، وكيف سيسهم في إعادة ضبط وتشكيل تفكير بايدن، لأن الإدارة الأمريكية بحاجة في نهاية المطاف للتعامل مع قوى فاعلة في المنطقة، وهناك طرف يقدّم نفسه بهذه الصفة.

وبالمحصّلة، وفق الرنتاوي، ليس المهم أن يذهب ترمب ويأتي بايدن، لكن المهم هو كيف ستتطور السياسات الأمريكية في ضوء تداخل ما هو محلي بما هو إقليمي بما هو دولي؟

وفي السياق ذاته، يؤكد داود كتّاب بأنّنا حين نتساءل عن مدى قدرة بايدن على إعادة الأمور إلى ما كانت عليه، فهذا لا يعني أن السياسات الأمريكية السابقة قبل ترمب كانت جيدة من المنظور العربي، خصوصاً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، لكنها على الأقل لم تضخّم دور بعض الأطراف كالسعودية وإسرائيل، كما أن تلك السياسات كانت تعلن ولو لفظيّاً أنها ضد الاستيطان وأنها تعترف بوجود مناطق

محتلة؛ في حين، نفى بومبيو وجود شيء اسمه مناطق محتلة، واعترفت إدارة ترمب بضم الجولان، وهذا مخالف لمبدأ أمريكي وعالمي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. ترمب خرّب النظام العالمي، والسؤال: إنْ توفّرت له القدرة، كما المصلحة، كم يحتاج بايدن لمعالجة ذلك؟!

فيما يرى محمد أبو رمان، أنّ فوز ترمب عزّز ظهور نمط جديد من الأنظمة في العالم العربي، وسلطوية جديدة تجاوزت نمط الأنظمة العربية التقليدية في القمع، حيث استثمرت في وجود ترمب بالسلطة. صحيح أن السياسة الأمريكية في العادة لا تعطي أهمية كبيرة للديمقراطية ولحقوق الإنسان، وتضعهما كأولوية ثالثة أو رابعة، لكن إدارة ترمب شطبتها تماماً من الأجندة الأمريكية، وأصبح مباحاً بشكل كبير فعل ما يريده أي نظام رسمي عربي، وهذا كان مصدر قلق شديد على صعيد الديمقراطية وحقوق الإنسان. ولا بد من التمييز بين سياسة ترمب وبين ميراث ترمب (Legacy of Trump). هذا التراث ليس سهلاً على أيّ أحد أن يقتلعه.

ويضاف إلى ما سبق، ما عُرف بعقيدة أوباما، التي كان بايدن شريكاً له فيها آنذاك، وهي اعتقاد تُرجم بسياسة نفض اليدين من منطقة الشرق الأوسط، ومن العالم العربي تحديداً. ومِنْ مُقوّماتها أن أزمة الأنظمة العربية داخلية وبنيوية، وأن النظام العربي نظام تشكّل بعد الحرب العالمية الأولى ولا رغبة لدينا في التورّط به بشكل كبير. وبالتالي، نحن بإزاء سيناريو متوقع، قد يفسّر عمليات التطبيع العربي الإسرائيلي الأخيرة التي حصلت، لا إرضاء لترمب؛ وإنما تحسُّباً لسيناريو ما بعد ترمب، خشية أن يعزف بايدن عن الانغماس بأزمات الشرق الأوسط[1].

وفيما يتعلق بجائحة كورونا، يُتوقع أن تستمر الأزمة الصحّية في النصف الأول من العام 2021، على الأقل، بتداعياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي. فميراث كورونا لا يختلف عن ميراث ترامب، قيد أُنملة، إرثٌ كان كارثيّاً، في مفاعيله السياسية، وارتهاناته الاقتصادية، وارتداداته الاجتماعية، وأوضاعه الصحّية والتعليميّة.

1- فيما يرى محللون، أنّ سيناريو انسحاب السياسة الخارجية الأمريكية من منطقة الشرق الأوسط، ما هو إلا انسحاب ظاهري، اقتضته نتائج تدخله في العراق، وما كان ليتم لولا أدوار وكلائه في المنطقة (الإمارات والسعودية)، أو خارجها (الاتحاد الأوروبي)؛ بما يُحلل أميركا من أي استحقاقاتٍ أو تبعات. بل يغدو دورها مطلباً لدى بعض شعوب المنطقة، كما الحال في سوريا ومصر، ويُنظر بعين الريبة لفتوره أو اختفائه..!!

ملحق:

الرسوم التوضيحية للمؤشرات الاقتصادية في الأردن:

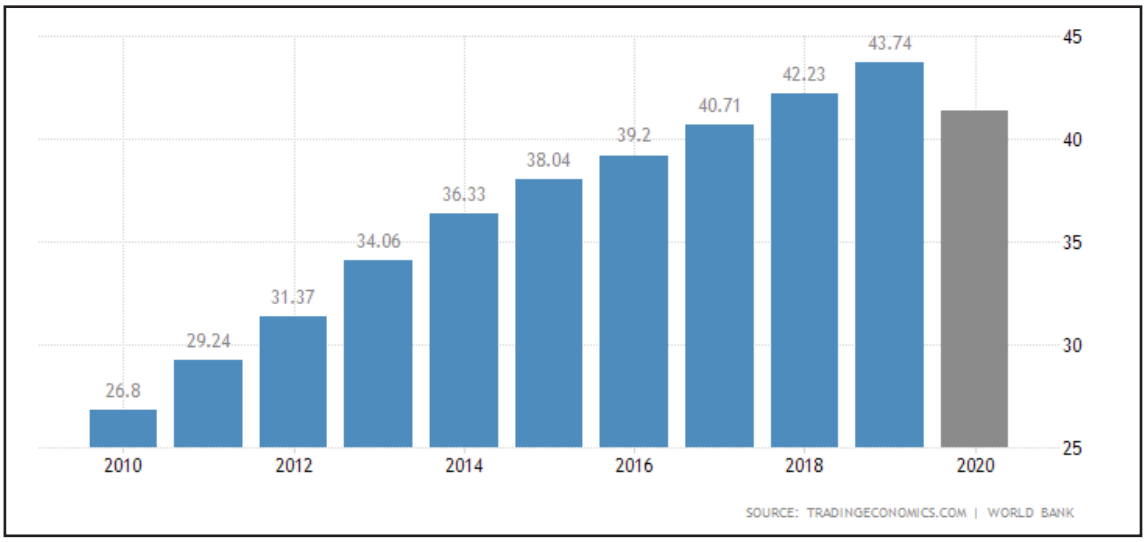

الأردن – الناتج المحلي الإجمالي

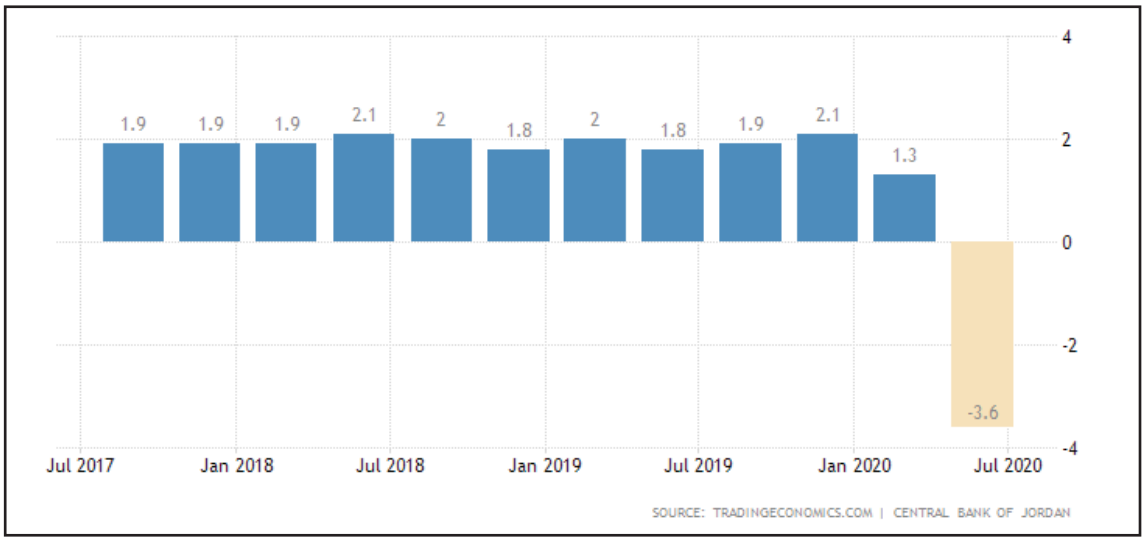

معدل النمو السنوي للناتج المحلي الاجمالي

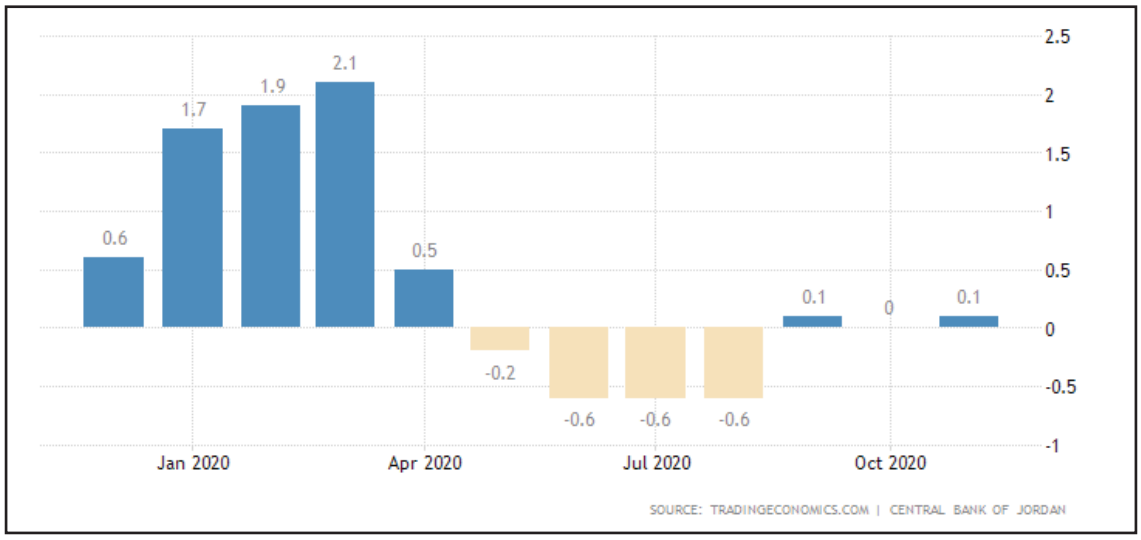

معدل التضخم

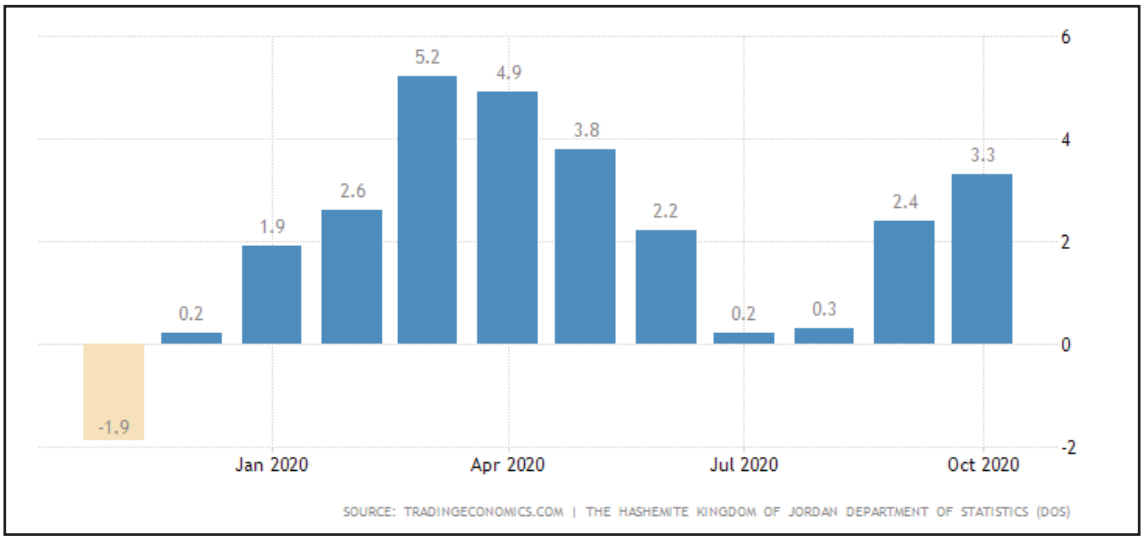

التضخم الغذائي

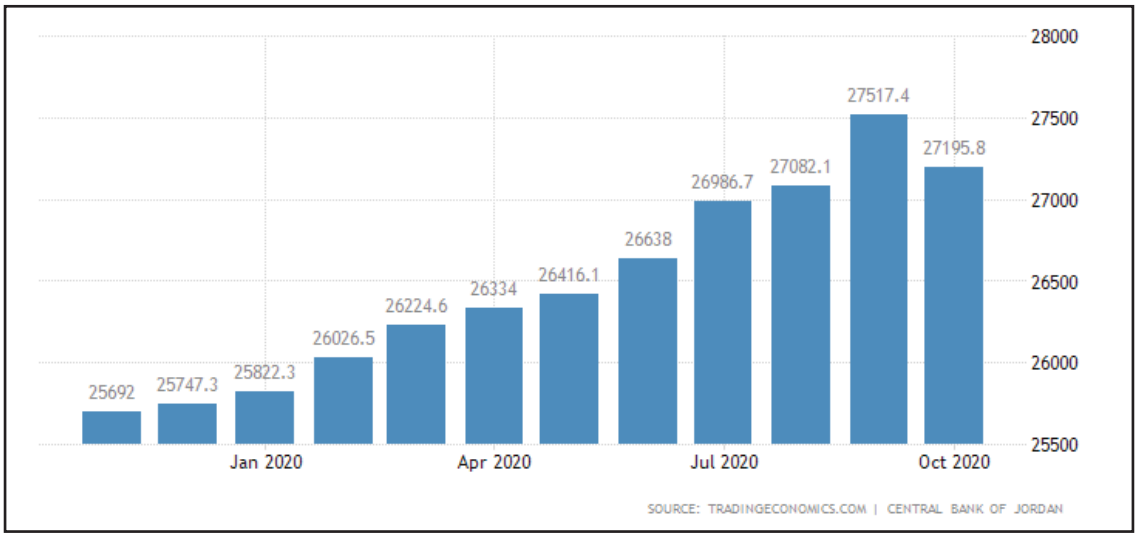

قروض للقطاع الخاص

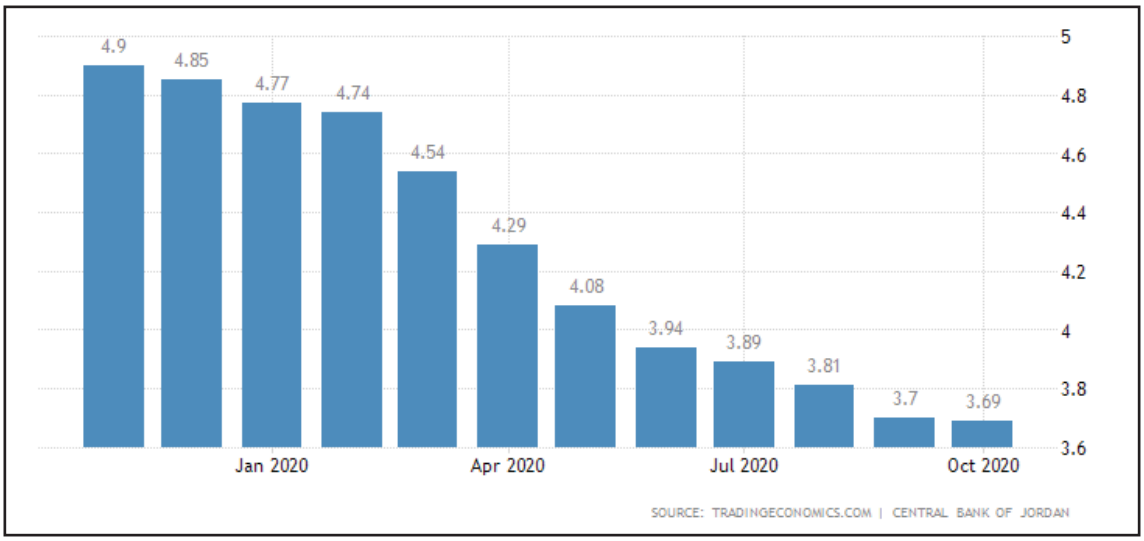

سعر الفائدة على الودائع

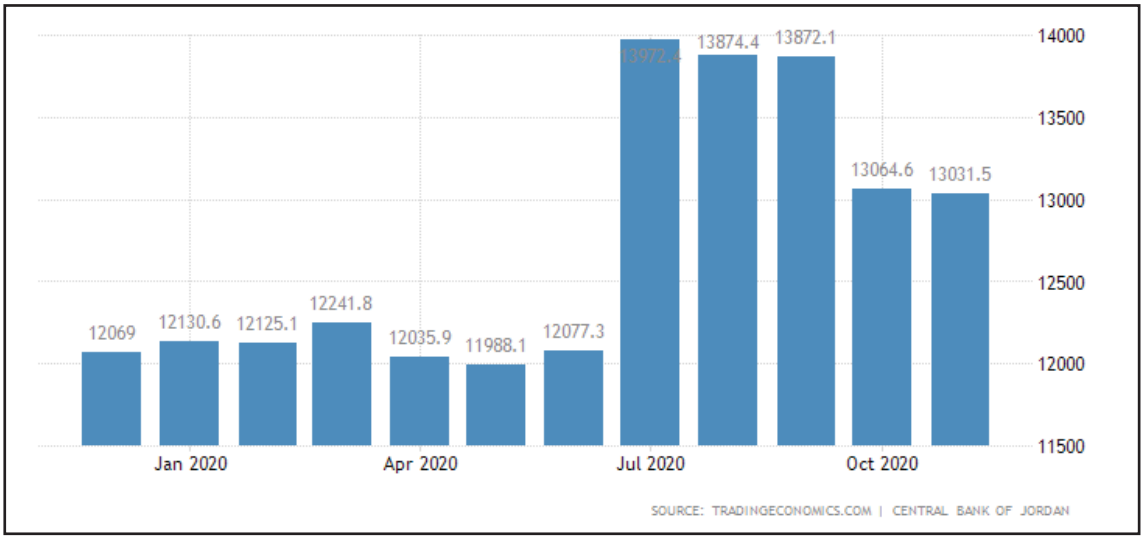

احتياطيات النقد الأجنبي

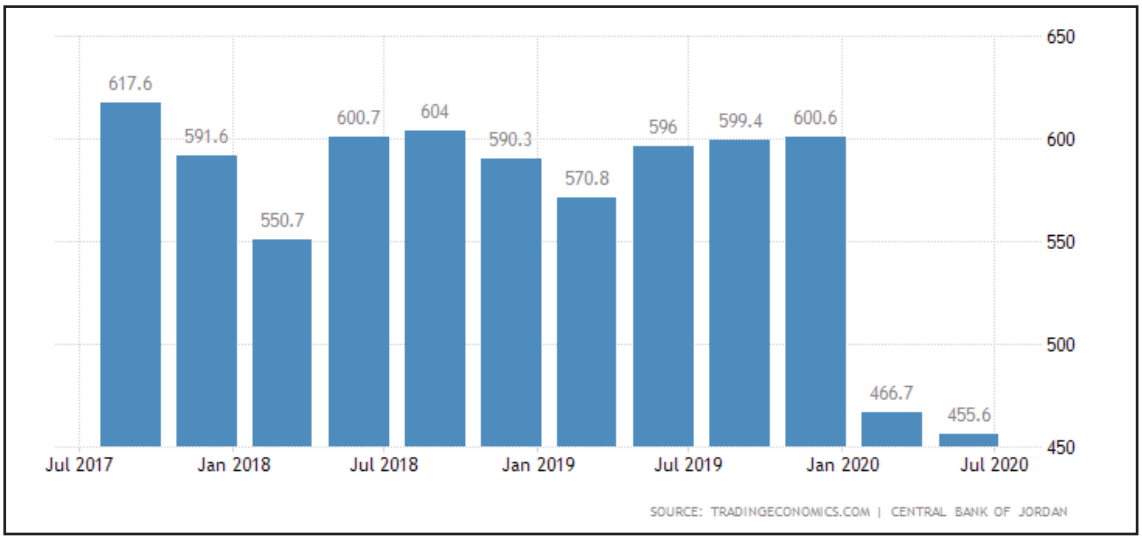

التحويلات

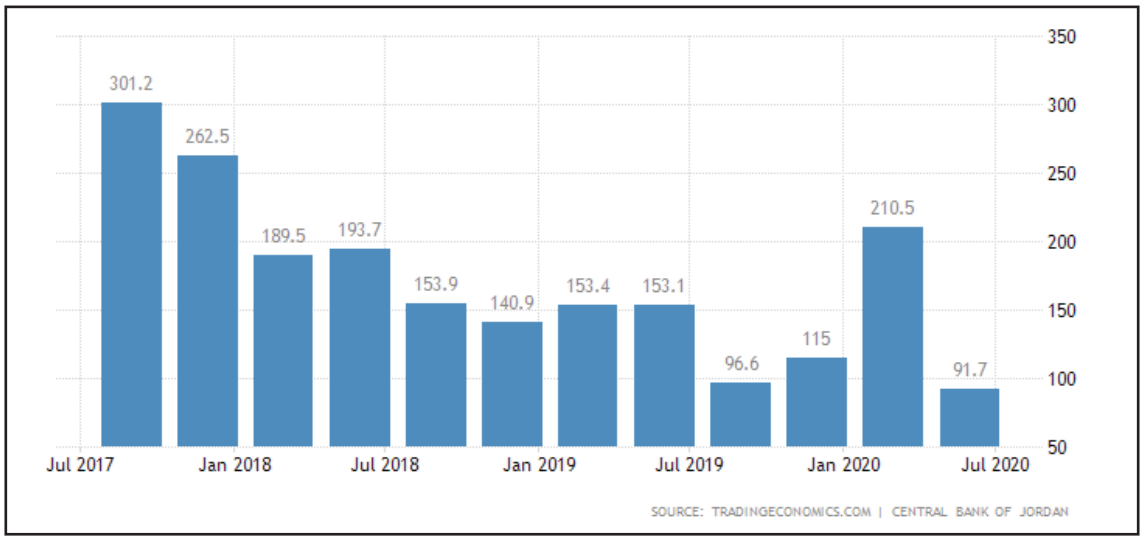

الاستثمار الأجنبي المباشر

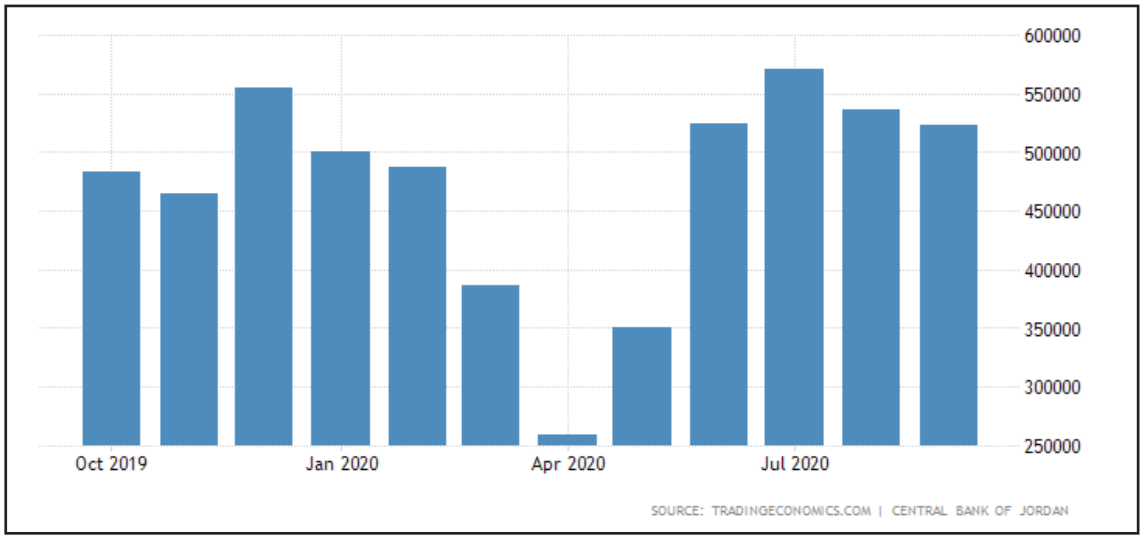

الصادرات

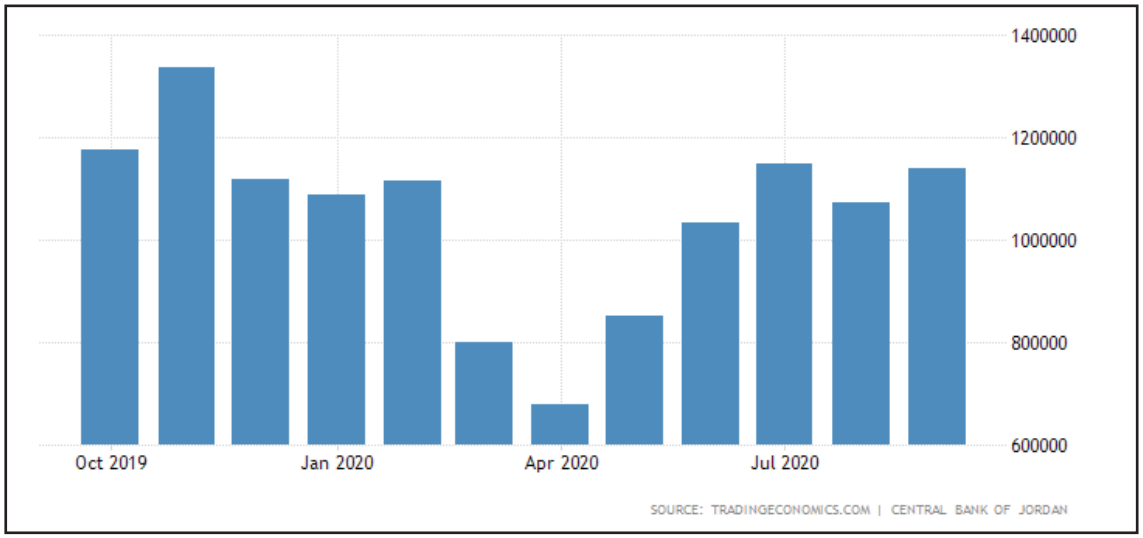

الواردات

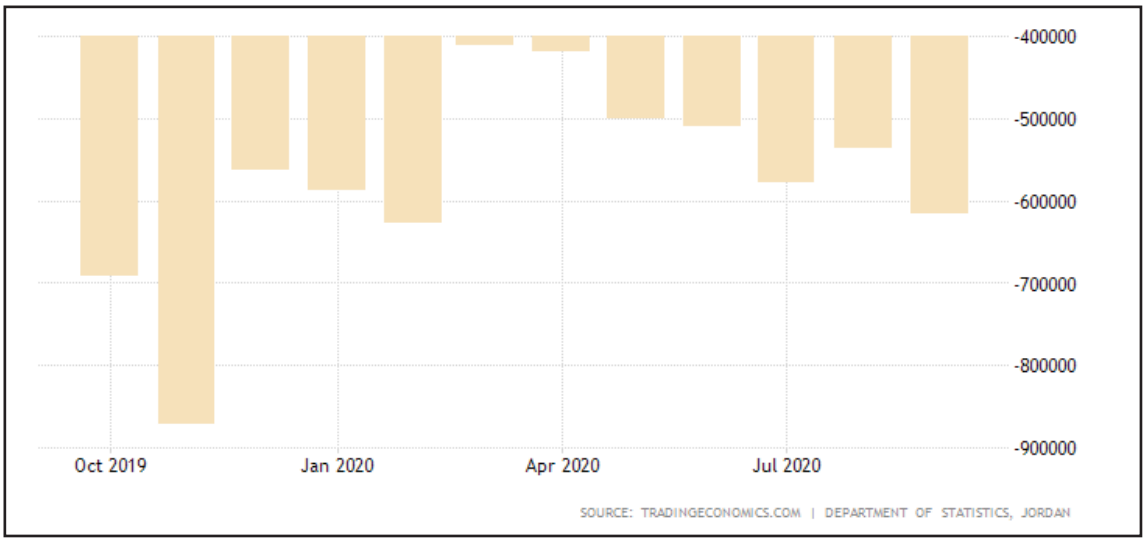

الميزان التجاري

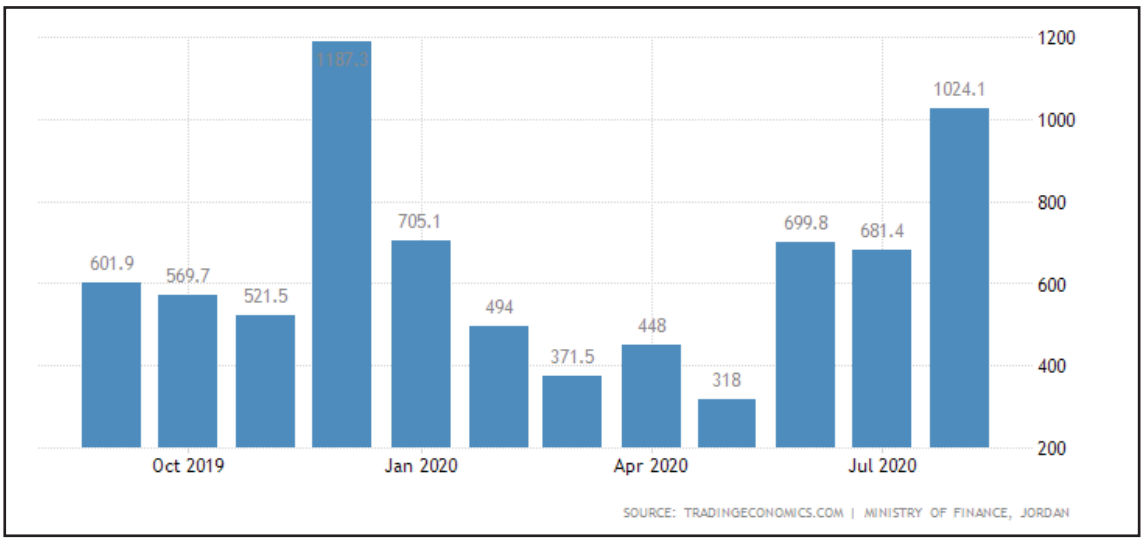

إيرادات الحكومة